

لماذا قررت السعودية تـحـدـدـي الرئيس ترامب وتـخـفـيـض إنتاج منـظـمـة "أوبـك" وتـكـريـس التـحـالـف مع روسيا؟



وما هي الأسباب الثلاثة التي دفعت الأمير بن سلمان الإقدام على هذه "المغامرة"؟ وهل يؤوِّف الرئيس بوتين مظللة الحماية له من تدبكات جريمة اغتيال خاشقجي؟
عبد الباري عطوان

توصُّل الدول المنتجة للنفط داخل منظمة "أوبك" وخارجها إلى اتفاقٍ يوم الجمعة الماضي في اللحظة الأخيرة، لتخفيض الإنتاج بحوالي 1.2 مليون برميل يوميًا لوقف انهيار الأسعار، وعودتها إلى الارتفاع مجدِّدًا، خطوة على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية من الناحية الاقتصادية، لكن الأهم في نظرنا أن تحالفًا سعوديًّا روسيًّا برز بقوة، يُشكِّل تحدِّدًا للرئيس الأمريكي دونالد ترامب الذي طالب قبل يومين من هذا الاجتماع بعدم تخفيض الإنتاج.

إنها صفةٌ فـوـيـةٌ للرئيس ترامب تُضاف إلى صفاتٍ أُخرى انهالت عليه، سواء من الكونغرس الذي اتهمه علنًا بالتهاون في مسألة اغتيال الصحفي جمال خاشقجي ومحاولة توفير الحماية للأمير محمد بن سلمان، أو الصفة الأخرى الناجمة عن فشل مشروع قرار تقدمت به "خليفته المحتملة" نيكى هايلي إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة هجمات "حماس" الصاروخية على إسرائيل.

أسعار النفط ارتفعت 5 بالمئة فور الإعلان عن هذه الصفقة، والتزام دول "أوبك"

بتخفيض إنتاجها بحوالي 800 ألف برميل، وروسيا التي تتزعم 10 دول خارجها بـ 400 ألف برميل يوميًا، ومن المتوقع أن يعود سعر البرميل إلى 86 دولارًا، مثلًا ما كان عليه في تشرين أول (أكتوبر) الماضي، خاصةً إذا أوفت السعودية بوعدها وخففت إنتاجها من 11.1 مليون يوميًا حاليًا إلى 10.3 برميل في شهر كانون الثاني (يناير) المقبل.

لا نعرف كيف سيكون ردّة فعل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على هذه المواقف السعودية المتحدية له، وهذا التحالف السعودي الروسي الذي ربّما لا يظلم مَحْصُورًا داخل منظمة "أوبك"، وربّما يمتد إلى قضايا أخرى، ونحن في انتظار تغريدة جديدة "غاضبة" للرئيس ترامب تردّد على هذه المسّفة بطريقة أو بأخرى.

هذه هي المرّة الأولى، على حد علمنا، التي يخرج فيها السيد خالد الفالح، وزير النفط السعودي، عن المؤلف ويقول في تصريحات صحافية علنية "أمريكا ليست في موقع أن تفرض على أوبك ما يجب عليها أن تفعل.. لا أحتاج إلى إذن من أحد لكي أخفص الإنتاج"، فقد جرت العادة أن تُدعى السعودية لمطالب أمريكا دون أيّ تردد، ووصلت الغطرسة الأمريكية في الأعوام الماضية إلى درجة إيفاد مبعوث إلى مكان اجتماعات "أوبك" لمراقبة المداوات داخلها، وإملاء مطالبه على الوزير السعودي الذي يُبادر بالتنفيذ فورًا دون أيّ تردد.

تفسيرنا لهذا التحدي السعودي القوي لترامب ربّما يعود إلى عِدّة أمور يُمكن أن نُلخصها في النقاط التالية:

أولاً: أن يكون الأمير محمد بن سلمان قد توصّل إلى قناعة راسخة بأن الرئيس ترامب قد يرضخ لضغوط الكونغرس وصقور مجلس الشيوخ مثل ليندسي غراهام وبوب ووكر وغيرهم، ويترفع الحماية عنه، ويفرض عقوبات على السعودية على أرضية جريمة اغتيال خاشقجي، فقرّر القيام بهجومٍ مُضادٍ؟

ثانيًا: أن يكون جرى التوصل إلى "صفقة ما" أثناء اجتماع الأمير بن سلمان مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، أبرز عناوينها تقديم بوتين الحماية والدعم للأول في مواجهة أيّ ضغوط أمريكية مُستفحلة بسبب الجريمة نفسها.

ثالثًا: بعد إعلان دولة قطر انسحابها من منظمة "أوبك" أدركت السعودية أن المنظمة التي تُعتبر العنصر القيادي المهّمّين فيها (أوبك) ستنهال بالكامل إذا رضخت للضغوط الأمريكية، وخففت الإنتاج، وستجد نفسها وحيدة ومُعزولة، ولذلك قرّرت إعطاء أولوية لتماسك "أوبك" والحفاظ على مكانتها، لأنّ البديل هو الفوضى في الأسواق، وانخفاض الأسعار إلى أقل من ثلاثين دولارًا الأمر الذي سيُخفف من العائدات، وخلق حالة من الغضب الشعبي يُهدّد استقرار المملكة والأسرة الحاكمة.

ما يَجْعَلُنَا لَا نَسْتَبْعِدُ، أَوْ نَسْتَعْرِبُ، هَذَا الْهُجُومَ السَّعُودِيَّ الْمُوَادَّ بِالاعْتِمَادِ عَلَى رُوسِيَا وَرئيسِهَا بُوْتَيْنِ، أَنْ الْأَمِيرَ بِنِ سَلْمَانَ أَوْ عَزَرَ إِلَى أَحَدِ الْكُتَّابِ السَّعُودِيِّينَ الْمُقَرَّرِّ بَيْنَ مِنْهُ إِلَى نَشْرِ مَقَالٍ يُهَدِّدُ بِلُجُوعِ السَّعُودِيَّةِ إِلَى مُوسْكَو، وَإِقَامَةِ قَاعِدَةٍ لَهَا فِي تَبُوكِ شِمَالِ غَرْبِ الْمَمْلَكَةِ، وَاسْتِجْدَالِ الْأَسْلِحَةِ الرَّوسِيَّةِ بِنَظِيرَتِهَا الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي حَالِ فَرَضِ الرَّئِيسِ تَرَامْبِ عُقُوبَاتٍ عَلَى السَّعُودِيَّةِ بِسَبَبِ قَضِيَّةِ اغْتِيَالِ خَاشِقِجِي.

السُّؤَالُ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ بِقُوَّةٍ عَمَّا إِذَا كَانَتِ السَّعُودِيَّةُ وَحَاكِمُهَا الْفَيْعَلِيَّ الْأَمِيرَ بِنِ سَلْمَانَ تَسْتَطِيعُ تَحْمُلُ النِّتَائِجِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَتَرْتَّبَ عَلَى هَذِهِ الْخُطْوَةِ، أَيْ الاسْتِغْوَاءِ بِرُوسِيَا فِي مُوَاجَهَةِ أَمْرِيكَا، وَنَقْلِ الْبُنْدُوقِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ مِنَ الْكَتِفِ الْأَمْرِيكِيِّ إِلَى الْكَتِفِ الرَّوسِيِّ؟ إِنَّهَا مُقَامَرَةٌ كَبِيرَةٌ إِذَا مَا جَرَى الْإِقْدَامُ عَلَيْهَا مِنْ قَيْدِ الْأَمِيرِ بِنِ سَلْمَانَ، فَإِنَّهَا عِلَاقَةٌ تَحَالْفِيَّةٌ اسْتِرَاتِيجِيَّةٌ امْتَدَّتْ حَوْلِيَّ 80 عَامًا مَعَ أَمْرِيكَا هُوَ بِمَثَابَةِ "إِعْلَانِ حَرْبٍ"، وَلِذَلِكَ تُخَامِرُنَا الْكَثِيرَ مِنَ الشُّكُوكِ فِي هَذَا الْمَضْمُونِ.

فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، تَغْرِيدَةُ تَرَامْبِ الْقَادِمَةِ، الَّتِي سَتَنْتَاقِلُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ سَتُجِيبُ عَنِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَسْئَلَةِ وَالنِّسْكَهَاتِ، وَلَا نَعْتَقِدُ أَنَّ سَنَنْتَظِرُهَا طَوِيلًا، فَهَذَا الرَّجُلُ لَا يُطَبِّقُ صَبْرًا، وَلَا نَسْتَبْعِدُ أَنْ نَطَّلِعَ عَلَيْهَا مَعَ نَيْهَايَةِ عُطُولَةِ هَذَا الْأُسْبُوعِ، أَوْ حَتَّى قَيْدِهَا، وَحِينَئِذٍ لِكُلِّ حَادِثٍ حَدِيثٍ.